النهضة العمرانية والاجتماعية

obeikandl.com

النهضة العمرانية والاجتماعية

« إن مصر لم تكن في مستوى مطامعه »

عبارة سمعتها من سعادة علي الشمسي باشا لما ذهبت إليه أسأله عن بعض ذكرياته عن « الملك فؤاد البناء » فبعد ما أفضى إليَّ بما وعته ذاكرته في هذا الصدد سكت لحظة ثم قال :

« إن مصر لم تكن فى مستوى مطامعه »

وإذا كنت اخترت هذه العبارة لأصدر بها هذا الفصل فلأنها في اعتقادي خير ما ينطبق على عهد الملك فؤاد والنهضة التي كان يتوق إلى تحقيقها وعلى ما تيسر له تحقيقه منها في نحو تسع عشرة سنة بالرغم من الأحداث السياسية التي مرت بالبلاد ولم يكن عددها قليلا

✲ ✲ ✲

ولا نعود في هذا المقام إلى تكرار ما أشرنا إليه في المقدمة وهو أن تفكير الملك فؤاد كان كالمنارة تحيط بكل ما حولها وتضيء ما حولها وترشد ما حولها كذلك كان جلالته في تفكيره متيقظاً لكل شئ محيطاً بحاجات المملكة ملماً بجميع نواحي مرافقها وعمرانها عارفاً بما ينفعها ناظراً إلى غدها حاسباً حساب مستقبلها ومقتضياته باحثاً فيما يفيدها موحياً بما يعمل موعزاً بما يجب الاستعداد له مراقباً وساهراً وملحاً في حرصه على اغتنام دقائق الوقت . « كان وراءنا كالفرقلة »

obeikandl.com

وعقب عبد الحميد باشا على ذلك بقوله « وكم من مرة عزت إلينا الصحافة إصلاحات وأعمالا كثيرة مع أن الملك فؤاداً كان صاحب الفضل الأول في التفكير فيها والدعوة إليها ولكنه كان يأبى أن نعزو إليه فضلا ما ويقول إنه لا يفعل أكثر من ضم جهوده إلى جهود رعيته . فمن ذلك أن مشروع توسيع خط سكة حديد الأقصر — أسوان منسوب إليّ مع أن الملك هو الذي فكر فيه . ونسب إليّ كذلك مشروع مد سكة الحديد من الإسكندرية إلى مرسى مطروح مع أن المشروع مشروعه وظهرت فوائده في هذه الحرب . وهو الذي فكر في تثنية الخط حتى أسيوط فعزوا الفكرة إليّ . وأرسل إليّ جلالته مرة رسولا قال لي إن الملك يود أن يرى خط سكة حديد بين القاهرة والسويس . وإني أعترف لك بصراحة تامة بأني لم أقدر قيمة هذا المشروع الحقيقية إلا لما نفذنا المشروع . وهو الذي أوحى إليّ بمد خط سكة حديد من قنا إلى القصير وفعلا أنشأنا جزءاً من هذا الخط ولو أنشأناه كله يومئذ لأفاد فائدة عظيمة في هذه الأيام ولو بتخفيف الزحام عن ميناء السويس »

* * *

قال عبد الحميد باشا : ولم يكن تفكير الملك فؤاد يقف عند حد معين أو عند نوع معين من أنواع الإصلاح بل كان يفكر في الإصلاح تفكيراً عاماً بقطع النظر عن نوعه أو شأنه . قال لي يوماً « إن لون مركبات سكة الحديد عندنا لم يعد جميلا » فقلت لجلالته « ولاسيما أننا في بلاد حارة فما هو اللون الذي يظن مولانا أنه أنسب من سواه » فقال : « المسألة تحتاج إلى تجربة ... فما عليكم إلا أن أن تدهنوا أربع مركبات أو خمساً بأربعة ألوان مختلفة أو خمسة ثم نقرر أيها أفضل ... ولكن كيف يمكنني أن أراها ... » وبعد ما سكت جلالته لحظة قال : « وجدت الحل . . . . إن الملك أمان الله يصل إلى القاهرة بعد أيام وسأستقبله

جلالة الملك فؤاد يضع حجر الأساس فى بيوت العمال

جلالة الملك فؤاد فى إحدى زياراته للمستشفيات

في المحطة فتكون الفرصة مناسبة لأشاهد تلك المركبات فاجعلوها في مكان قريب من الرصيف الذي سأقف عليه فيتيسر لي أن أشاهدها فأعطيك رأيي » ولما وصل جلالته إلى الرصيف المعد للاستقبال أرسل نظرة إلى المركبات التي كنا قد طليناها بألوان مختلفة على سبيل التجربة ثم قال لي : « أظن أن اللون الأبيض أجملها فأطلوها كلها به على أن تخبرني بعد ستة أشهر إن شاء الله أن جميع مركبات سكة الحديد عندنا أصبح لونها أبيض » . فقلت « إن ستة أشهر قليلة يا مولانا » فقال « بلاش تسويف » فقلت « لا تسويف مطلقاً يا مولانا ولكن ستة أشهر قليلة على كل حال » . و بعد إلحاح رضي جلالته أن يمهلنا سنة

واستطرد عبد الحميد باشا من ذلك إلى القول : والملك فؤاد هو صاحب فكرة زيادة سرعة القطرات وهو الذي قصر ساعات السفر بين القاهرة والإسكندرية بعد ما كانت خمساً

* * *

وكرر عبد الحميد باشا غير مرة في سياق كلامه ان جميع الاعتبارات كانت تخطر للملك فؤاد عند بحث مشروع من المشروعات فلا يغرب عن باله شيء منها . قال « لما تقرر إنشاء كوبري اسماعيل الجديد بدلا من كوبري قصر النيل القديم اقترح بعضهم تغيير مكان الكوبري الجديد فيقام بعد ثكن قصر النيل ودار المتحف ، فلما كوشف جلالته بهذه الفكرة قال إن تنفيذها يفضي إلى ارتفاع أسعار الأراضي التي ستكون على مقربة من مكان الكوبري الجديد وخفض أسعار الأراضي المجاورة لمكان الكوبرى القديم وهذا حرام إذ ما ذنب أصحاب هذه الأراضي والمباني التي تقوم عليها . وأصر جلالته على أن ينصب الكوبري الجديد مكان الكوبري القديم

* * *

وجاء ذكر خزان جبل أوليا فقال عبد الحميد باشا انه لما اقتنع الملك فؤاد

بفائدته لمصر وجه همه إلى تنفيذه حتى أنه منع المغفور له اسماعيل سري باشا من السفر إلى أوربا لكي يتولى الدفاع عن مشروعه في مجلس الشيوخ

وهنا ابتسم عبد الحميد باشا وقال : « وكان المغفور له حسن صبري باشا أول المعارضين يومئذ لهذا المشروع في المجلس والآن يمكنني أن أذيع سراً ظل مكتوماً حتى اليوم وهو أن الملك فؤاداً هو الذي أوعز باختياري مقرراً للجنة المشروع لما كان يعرفه من شدة تحمسي له »

✲ ✲ ✲

وسمعت من أحد وزراء الأشغال السابقين وهو سعادة عبد القوي احمد باشا مايصح أن يكون تكملة لما سمعناه من عبد الحميد سليمان باشا عن اهتمام الملك فؤاد بمشروع خزان جبل أوليا لما اقتنع بفائدته لمصر

فانه لما اشتدت حملة المعارضين للمشروع ترددت الوزارة في المضي فيه فقال لها الانجليز إنه إذا كانت ترى أنه سينشىء لها متاعب فانهم لايلحون عليها في تنفيذه فبينما كان عبد القوي باشا متشرفاً مرة بمقابلة الملك فؤاد عرض على مسامعه ما دار بين بعض رجال الوزارة و « دار المندوب السامي » (في ذلك الحين) فما كان من جلالته إلا أن قال على الفور : « إني أريد تنفيذ هذا المشروع لمصلحة مصر والمصريين لا لمصلحة الانجليز فاذا كانوا هم يرضون بتأجيله فيجب علينا نحن أن لا نرضى بذلك ... إن كل مشروع يزيد لنا الماء و يزيد انتاجنا الزراعي يكون خيراً على مصر و بركة فكيف نمنع الخير عنها . . . اذهب إلى فلان وقل له ان الملك يريد أن يستمر الاستعداد للمشروع بهمة عظيمة لتجني البلاد ثمرته في أقرب وقت »

✲ ✲ ✲

وقص علينا عبد القوي أحمد باشا أنه تشرف بمقابلة الملك فؤاد في سنة ١٩٢٨

(وكان سعادته قد عين يومئذ مهندساً مقيماً في تعلية خزان أسوان الثانية ولكن لما كان العمل فيها لم يبتدئ بعد كان يقوم بأعمال مدير مكتب وزير الأشغال) فسأله جلالته عن سير العمل في وزارة الأشغال

قال عبد القوي باشا : فأخبرت جلالته بأننا فرغنا من وضع برنامج عملي لمصلحة الري لمدة عشر سنوات وأن نفقات هذا البرنامج تقدر بأربعة وعشرين مليون جنيه فما كاد جلالته يسمع ذلك حتى تهلل وجهه فرحاً وطلب إليَّ أن أحدثه عن تفصيل المشروعات الكبيرة التي انطوى عليها البرنامج فبسطتها لجلالته ولما انتهيت من ذلك رجوت أن يعتمدها مجلس الوزراء قريباً لكي تتمكن مصلحة الري من الشروع حالاً في تنفيذ هذا البرنامج الضخم فقال لي جلالته : « أخرج من هنا وقابل رئيس الوزراء وقل له إنني أرجو تقديم مذكرة هذا البرنامج في أول جلسة يعقدها مجلس الوزراء وبلغ وزير الأشغال إني مسرور من مصلحة الري والصرف ولكني غير مسرور من مصلحة كذا وقل له إن هذه المصلحة الثانية في حاجة إلى روح جديدة ورجال جدد يسايرون الزمان الذي نعيش فيه »

* * *

وقبل أن ننتقل إلى طائفة أخرى من الذكريات عن الاهتمام الذي كان الملك فؤاد يبديه بالمشروعات العمرانية والإنشائية يجدر بنا التنويه بأن اهتمامه بهذه المشروعات كان كاهتمامه بالمنشآت والمؤسسات العلمية أي كان اهتماماً نظرياً وعملياً في وقت واحد فمن ذلك حرصه على أن يضع بنفسه الحجر الأساسي في قناطر نجع حمادي الجديدة (سنة ١٩٢٨) ليشاهد عن كثب ما يستوي به معلوماته عن المشروع فلما نفذ المشروع وتم بناء القناطر الجديدة تفضل جلالته فترأس الاحتفال بافتتاحها رسمياً بحضور رجال الدولة وممثلي الدول الأجنبية

وجمهور من العظماء وكبار أصحاب المال والأعمال وشاهدنا يومئذ ما شاهده جميع الذين دعوا إلى هذا الاحتفال وهو الاغتباط العظيم الذي كان متجلياً على وجهه والذي نمت عنه أحاديثه في ذلك اليوم فقد حمد الله غير مرة على إتمام المشروع وقال إن تنفيذه جاء دليلاً على مبلغ التقدم في مصر فإن الخزينة سددت نفقاته من غير صعوبة وقد بلغت مليوني جنيه وأشرف على سيره مهندسون مصريون فتم على الوجه المطلوب كأنه من أعمال المقاولات العادية

وسمعنا جلالته يحدث بعض ممثلي الدول عن فائدة هذه القناطر الجديدة فيقول إنه يرفع منسوب ماء النيل وراءها إلى حيث يمكن إطلاقه لضمان سقي الحياض في تلك الجهات وهي التي اعتادت أن تبيت شراقي كلما جاء فيضان النيل واطئاً كما حدث في هذا العام (سنة ١٩٣٠) فاستعين بهذه القناطر الجديدة ورفع المنسوب وسقيت تلك الحياض المترامية الأطراف وسددت القناطر في أول عام من أعوام وجودها جانباً يذكر من نفقات بنائها . هذا من جهة ومن جهة أخرى يمكن بهذه القناطر إرواء نحو نصف مليون فدان في مديريتي جرجا وأسيوط قبلي الترعة الابراهيمية رياً صيفياً بعد إتمام تعلية خزان اسوان الثانية إذا استقر القرار على تخصيص ما يزيد من الماء المخزون كله أو جله لهذه الغاية

* * *

وكان الذين يسمعون جلالته وهو يبسط تفاصيل هذه المشروعات والأعمال الكبيرة يدهشون لما يعرفه عنها ويسألون كيف تسنى له الإحاطة بكل ما تستوعبه ذاكرته عنها . قال لنا دولة صدقي باشا : إني لم أعرف رجلا يقرأ مقدار ما كان الملك فؤاد يقرأه فقد كان دائم الاطلاع على كل ما يعتقد أن في اطلاعه عليه مصلحة لمصر ولا أغالي إذا قلت انه كان أكثر إحاطة بالمسائل التي تعرض على مجلس الوزراء من الوزراء أنفسهم وذلك لأنه كان يقرأ كل شيء

وقال لنا معالي عثمان محرم باشا : إنه في كل مرة عرض على الملك فؤاد مشروعاً من مشروعات الري والصرف الكبيرة كان جلالته يبهره بالسرعة العظيمة التي يستوعب بها تفاصيله الفنية « فكنت أجد لذة عظيمة في بسط مشروعاتنا لجلالته إذ كان يخيل إليَّ دائماً أنني أحدث رجلا من رجال الهندسة والري مثلي »

* * *

ومن المشروعات العمرانية الكبيرة التي حرص الملك فؤاد على وضع حجر الأساس فيها بيده الكريمة التعلية الثانية لخزان أسوان ، وكوبري اسماعيل ولما تم بناؤه تفضل جلالته بافتتاحه رسمياً . وكوبري بنها الجديد افتتحه جلالته رسمياً كذلك كما افتتح محطة الرفع الجديدة التي بنتها مصلحة المجاري في ضاحية الأميرية فدل بذلك على حرصه الشديد « على أن يضيف إلى تراث القاهرة التاريخي مظهراً يتناسب مع أحوال العصر ويتكافأ مع ما تطمح إليه مصر بحق في ظل عهده السعيد من المجد والسمو » كما قال وزير الأشغال في الخطبة التي خطبها يومئذ بين يديه

* * *

وكان جلالته شديد الاهتمام بتوسيع ميناء الإسكندرية و إصلاحه وأصغت الحكومة إلى نصيحته فدعت ثلاثة خبراء أجانب (أحدهم انجليزي والثاني فرنسي والثالث إيطالي) ليضعوا لها مشروعاً بما يقترحون عليها عمله

وازداد اهتمام جلالته بهذا الموضوع بعد إنشاء ميناء حيفا الجديد لأنه رأى بثاقب نظره أن حيفا ستنافس الإسكندرية منافسة شديدة وأنها قد تغدو مع الوقت أول ميناء في هذا الجانب من البحر المتوسط إذا لم يبادر المصريون إلى توسيع ميناء الإسكندرية و إصلاحه بما يحله المحل اللائق به و بمقام مصر ولا سيما أن نمو الحركة في الميناء نفسه واتساع دائرتها أصبحا يقتضيان هذا الإصلاح

وقال لنا سعادة محمود شاكر باشا المدير العام لمصلحة السكة الحديد أنه لما كان وكيلاً لوزارة المواصلات حادثه الملك فؤاد غير مرة بإسهاب تام عما يريده لميناء الاسكندرية ، وفي مقدمة ما كان يريده له علاوة على توسيعه إنشاء رصيف خاص لتفريغ الفحم وتخصيص رصيف منعزل للبترول وإيجاد رصيف آخر للخشب وغيره للنترات . . .

قال شاكر باشا : وتبادر إلى ذهن جلالته في وقت ما أنني أعرقل المشروع الذي وضعه الخبراء الثلاثة فأعددت مذكرة بملاحظاتي وانتقاداتي وأعطيتها لرئيس الوزراء (وكان دولة صدقي باشا) فرفعها إلى جلالته فقرأها بعناية وأنصفني وطلب مني أن أناقش الخبراء الثلاثة فيها

* * *

وشاء القدر أن يرحل الملك فؤاد عن هذه الدنيا قبل أن تكتحل عيناه برؤية بداية العمل في توسيع ميناء الإسكندرية وإصلاحه ولكن مما لا ريب فيه أنه بذل في كل وقت أقصى ما يمكنه بذله ليحث على الانتقال إلى مرحلة التنفيذ

* * *

ويقول شاكر باشا إن جلالته كان شديد الاهتمام بميناء دمياط وميناء القصير كذلك وإنه كان فيما يتعلق بالقصير يقول إنه لا يجوز لمصر أن تعتمد على ميناء السويس وحده في البحر الأحمر

وبهذه المناسبة ذكر لي سعادة علي الشمسي باشا أنه في إحدى مقابلاته للملك فؤاد حدثه جلالته عن اهتمامه العظيم بإصلاح ميناء الإسكندرية ثم انتقل إلى الكلام عن ضرورة إنشاء خط سكة حديد الأقصر — القصير وتوسيع ميناء القصير وهنا قال جلالته : « إحنا عارفين راح يحصل للبحر المتوسط إيه »

قال الشمسي باشا : « كأنما كان جلالته يتنبأ بما سيحدث في سنة ١٩٣٩ أو ١٩٤٠ »

* * *

ومما رواه لنا شاكر باشا أنه لما عين في سنة ١٩٣٣ مديراً عاماً لسكة الحديد وتشرف بمقابلة الملك فؤاد قال له جلالته : « ارجع إليَّ بعد ثلاثة أشهر واخبرني عما تنوي عمله »

وفي إحدى المرات التي تشرف فيها سعادته بالمقابلة بعد ذلك دار الحديث على الطريقة التي تتبعها مصلحة سكة الحديد عندنا في تنظيف المركبات فقال جلالته إنها طريقة قديمة ولا تفي بالغرض منها على الوجه الأكمل ولاسيما أننا في بلاد حارة وأنه (أي جلالته) قرأ في إحدى المجلات الأوربية عن طريقة ابتدعوها في ألمانيا لتطهير مركبات سكة الحديد تطهيراً يكفل إزالة الجراثيم التي قد تكون عالقة بها فأرسل إلى نشأت باشا (وكان وزيراً مفوضاً لمصر في برلين) أن يوافيه بتفاصيل الجهاز الذي أعدوه لهذا الغرض فجاءته هذه التفاصيل مع الرسوم اللازمة

قال شاكر باشا : « وهنا نشر الملك فؤاد أمامه رسوم ذلك الجهاز وأخذ يشرح لي كيفية استعماله وتفاصيل أجزائه جزءاً جزءاً كأنه من الفنيين المتخصصين في شئون سكة الحديد . ولما انتهت المقابلة وانصرفت من الحضرة الملكية ظهر لي أن الحديث استغرق ساعة ونصف ساعة »

* * *

ولا يزال شاكر باشا يذكر أنه في رحلات الملك فؤاد وجه جلالته نظره إلى ضرورة تجميل المحطات بالحدائق تحسيناً لمنظرها وأن جلالته هو الذي أشار بإنشاء محطة طنطا الجديدة وإنه كثيراً ما قال له انه يريد أن يكون « لسيدي جابر » محطة تليق بهذه الضاحية الشهيرة

وعلى ذكر عناية الملك فؤاد بمدن المملكة نقول إن من ينعم النظر في تفكير جلالته من هذه الناحية يرى أنه كان يدبر مشروعات إصلاح المدن وتجميلها بنظام دقيق فبعدما رسم للقاهرة من الشوارع والميادين ما يستغرق فيها من قوى تنظيمه بضعة أعوام وجه عنايته إلى العاصمة الثانية فبعد ما أوشك شارع « الكورنيش » (طريق فاروق الأول) أن ينتهي فيها أعرب جلالته عن رغبته السامية في إصلاح ما برح محبو تلك المدينة الشهيرة يتمنون إتمامه لسببين كبيرين أحدهما الحرص على رفاهية سكانها وزائريها وتسهيل المواصلات التجارية والاجتماعية فيها والآخر أن تكون المدينة التي تعد بحق عنوان البلاد للقادم إليها على الحالة التي يتمناها كل امرئ لواجهة بيته فقد كان جلالته يود أن ينشأ شارع بعرض أربعين متراً من باب الجمرك إلى ميدان محمد علي . ولا ريب في أنه لو نفذ هذا المشروع لكان تجميلاً عظيماً للمدينة التي لقبت بحق عروس البحر المتوسط والتي ما برح أهلها يظهرون في جميع الأحوال ما فطروا عليه من الهمة والنشاط وحب التقدم والارتقاء ولا ريب كذلك في أن فتح هذا الشارع الجديد كان يفضي إلى تحقيق إصلاح كبير في جانب غير يسير من الشوارع والحارات الضيقة وهو إصلاح يؤول إلى تحسين الصحة العامة بما يكفل للناس من نور الشمس والهواء النقي وما يزيد في رفاهيتهم ونجاتهم من حالة أجمع الجميع على وجوب إزالتها والقضاء عليها . ولكن الملك فؤاداً انتقل إلى جوار ربه قبل أن يرى بداية العمل في هذا المشروع العظيم

* * *

وقبل أن نبتعد عما رددناه من أحاديث الملك فؤاد عن الموانىء المصرية وضرورة توجيه عناية خاصة إليها تحسن بنا الإشارة إلى زيارة جلالته للسويس في سبتمبر سنة ١٩٣٠ لافتتاح ميناءها الجديد و بعض المنشآت العمرانية الأخرى ووضع حجر الأساس في طائفة من المؤسسات العمرانية

فقد رأى الملك فؤاد أن مدينة السويس حرمت مدة طويلة من أعمال الإصلاح فيها بل حدث في وقت من الأوقات أنها تقهقرت وأضاعت ما كان لها من منزلة ولا سيما أنها لا تقوم في منطقة زراعية تدر عليها الخير والثروة فهي سوق تجارية وميناء بحري وما برحت كذلك في تاريخها الطويل كله فأوعز جلالته إلى حكومته برفع ميناءها الشهير إلى المقام الذي هو جدير به من حيث إنه صلة عظيمة القدر بين تجارة الشرق والغرب فاذا لم يكن في الطاقة إعادته إلى ما كان عليه قبل شق الترعة التي اقتبست اسمها من اسم المدينة القديمة أيام كانت السويس محط رحال القادمين من الشرق إلى الغرب والذاهبين من الغرب إلى الشرق إليها تلجأ السفن ومنها تخرج القوافل فلا أقل من جعلها من أمهات الموانىء ووقايتها من المزاحمة الشديدة التي أخذت تبدو للعيان بعد ما فتح ميناء بور سودان وأعد فيه أحدث المعدات وصار مقصداً للبواخر الذاهبة إلى الشرق الأقصى والعائدة منه والسفن التي تمخر بحار شرق أفريقيا في الذهاب والإياب

وإتماماً لهذه الفائدة أشار جلالته بمد سكة الحديد الصحراوية بين القاهرة والسويس على نحو ما روى عبد الحميد سليمان باشا في ما تقدم

* * *

ولم يقصر الملك فؤاد عنايته على الموانىء المتصلة بالملاحة الخارجية بل وجهها كذلك إلى الملاحة الداخلية والموانىء اللازمة لها

فقد كان بعض رجال الحكومة يعتقد أن الملاحة النهرية تنافس سكة الحديد وأنها لهذا السبب يجب أن تهمل لئلا تؤثر منافستها في إيرادات الخزانة العامة

وكانت الملاحة النهرية فيما مضى لا تصيب عناية ما من أولي الأمر حتى لقد كانت السفن النهرية تدفع رسماً على اجتياز الكباري في حين أن الذين يستعملون الكباري كطرق لا يدفعون شيئاً أي أن الذين كانت الكباري تسهل سفرهم

واتقالهم يعفون من الرسوم في حين أن الذين كانت تعوق عملهم وتضيع وقتهم كانوا يكرهون على دفع المال وظلت الحال على هـذا المنوال إلى أوائل القرن الحاضر فأنصفت الملاحة النهرية وأزيل هذا العبء عن عاتقها

وفي أثناء الحرب الأخيرة جربت السلطة العسكرية تجارب في الملاحة النهرية ودعت مندوبي الصحف إلى مشاهدتها ولكنها لم تسفر عن نتيجة تذكر

والحقيقة التي لا تنكر هي أن الملاحة النهرية أرخص وسائل النقل ولها في مصر مزايا عظيمة في مقدمتها أن الريح التي يغلب هبوبها عندنا تعارض سير مجرى تيار النيل

فالسفن النهرية تصعد في النيل بقوة الريح وتنزل فيه بفعل التيار فتستغني عن قوة دافعة صناعية حيث لا تدعو الحالة إلى السرعة

وهذا علاوة على أن الترع والمصارف الصالحة للملاحة لا تعيش ولا تنجح وتقوى بوجود الطرق وحدها بل لا بد لها من موانئ ودور صنعة وأنظمة ووقاية وتأمين فحث جلالته الحكومة على ضرورة الاهتمام بالموانئ الداخلية فصدعت بأمره وفي شهر ديسمبر سنة ١٩٣٠ وضع جلالته الحجر الأساسي في مرفأ قنا الجديد وفي مرفأ بني سويف الجديد

ومن سوء الحظ أن اعتبارات شتى وفي مقدمتها العسر المالي الذي أصيبت به مصر في ذلك الحين كغيرها من بلدان العالم كله حالت دون تنفيذ أعمال كثيرة بالسرعة التي كان جلالته يريدها

* * *

وكانت عناية جلالته بالرقي العام تشمل جميع نواحي حياة البلاد العامة ولا تقف عند بعضها وتغفل سواها . قال سعادة محمود فهمي القيسي باشا : « سمعت جلالته غير مرة يقول إن البلاد لا تستوفي نهضتها إلا إذا رفعت بوليسها إلى

المستوى الملائم لهذه النهضة وكان دائماً يتحدث عن البوليس في أوربا وكفاءته ويتمنى أن يأتي اليوم الذي يصل فيه بوليسنا إلى مرتبته »

وعلى ذكر البوليس نقول إنه في سنة ١٩٢٥ أصدر الملك فؤاد مرسوماً بوضع نظام جديد لمدرسة البوليس نص فيه على أن يقتصر دخولها على حملة شهادة الدراسة الثانوية قسم ثان (بكالوريا) دون سواهم وأن تكون مدة الدراسة ثلاث سنوات وأضيفت إلى المواد القديمة مواد جديدة لم تكن تدرس من قبل

وفي سنة ١٩٣١ انشىء لأول مرة قسم لقبول حملة شهادة الليسانس في الحقوق على سبيل التجربة ثم اوقف العمل بهذا النظام ولكن ولاة الأمور ما لبثوا أن اقتنعوا بفائدته فصدر في سنة ١٩٣٧ مرسوم بإعادة إنشائه وتنظيمه

وفي سنة ١٩٢٥ أعيد إنشاء قسم الكونستبلات وهو القسم الذي انشئ لأول مرة سنة ١٩٠٢ وألغي سنة ١٩٠٩

وفي سنة ١٩٣٣ أهدى الملك فؤاد إلى مدرسة البوليس ١٨ كلباً من نوع الكلب الراعي الألماني فكانت نواة لقسم الكلاب البوليسية في المدرسة

وزار جلالته مدرسة البوليس مرتين الأولى في ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٢ والثانية في ١١ إبريل سنة ١٩٣١

* * *

وكان الملك فؤاد في مقدمة المتحمسين لمشروع كهربة خزان اسوان وفي طليعة الداعين إليه ولما زار جلالته جمعية المهندسين في دارها الجديدة الفخمة في شارع الملكة نازلي [1] أطال الوقوف أمام النموذج الذي وضعه الدكتور عبد العزيز احمد بك لتوليد الكهرباء من مساقط الماء في خزان اسوان وأبدى اهتماماً كبيراً به واستفسر عن بعض الأمور المتعلقة به ثم التفت إلى الواقفين حوله وقال : « إن شاء الله يكون في تنفيذ هذا المشروع العظيم خير كثير للبلاد »

(١) كان ذلك في ٢ مارس سنة ١٩٣٢

ومن أحسن ما سمعته في وصف روح الملك فؤاد البنائية ما قاله لي دولة حسين سري باشا . قال: « لم يكن هناك مشروع عظيم على عظمة الملك فؤاد ولم يكن يهمه ما سيكلفه المشروع بقدر ما كان يهمه ما ستستفيده مصر منه فقد كان مقدار الفائدة التي تفيدها مصر هو الذي يعنيه قبل كل شيء »

وحدثنا دولته بعد ذلك عما اتفق له شخصياً مع الملك فؤاد في صدد مشروع منخفض القطارة فقال : « لما فرغت من بحوثي الأولية ذهبت إلى المغفور له محمد محمود باشا — وكان وزيراً للمالية في وزارة ثروت باشا الائتلافية — وحدثته عنه وعن حاجتي إلى عمل مجسات على الطبيعة في منخفض القطارة نفسه وكان محمد باشا يثق بي ثقة شديدة فقال لي : « بالاختصار ماذا تريد مني ؟ » فقلت : « أريد عشرين ألف جنيه أو ثلاثين ألفاً للمجسات » . فقال : « نعطيك عشرين ألفاً » فخرجت من عنده إلى زيارة المغفور له عبد الخالق ثروت باشا وكان رئيساً للوزارة فما حدثته عن المشروع بإيجاز حتى قال لي : « وكم تعتقد أن تنفيذ هذا المشروع سيكلف ؟ » فقلت : « من عشرين مليون جنيه إلى ثلاثين مليوناً » فأبدى استغرابه لاهتمامي بمشروع يكلف هذه الملايين الكثيرة وقال : « من أين لنا هذا المال الطائل ؟ » ثم تشرفت بمقابلة الملك فؤاد ومعي تقريران عن المشروع أحدهما يبسطه بسطاً مقتضباً والآخر يبسطه بسطاً مسهباً وقلت في نفسي إن وقت الملك لن يتسع لأكثر من الاطلاع على التقرير المختصر ولكن إراحة لضميري سأرفع إليه التقرير الآخر كذلك فإذا أراد أن يرجع إلى نقطة ما أغفلها التقرير المختصر وجدها مفصلة فيه فكان أول سؤال وجهه إليّ جلالته: « وماذا تستفيد مصر من تنفيذ هذا المشروع ؟ » فسردت لجلالته أهم فوائده فارتاح إليها وأظهر اغتباطه بالمشروع ولم يسألني قط « كم سيكلف » بل قال لي : « اترك لي هذين التقريرين يا حسين بك وسأدعوك إلى هنا مرة أخرى قريباً » .

و بعد عشرة أيام دعيت إلى التشرف بمقابلة جلالته فوضع التقرير الكبير أمامه وأخذ يتصفح أوراقه فرأيت على كل صفحة منها تقريباً علامة استفهام فكان يقف عند كل علامة منها ويسألني إيضاحات جديدة استيفاء لما قرأه في التقرير. أما التقرير المختصر فلم يمسه . ولما راجعنا التقرير كله بهذه الكيفية حثني على المضي في تجاربي فكانت كلماته لي في تلك المقابلة أكبر تشجيع سمعته في حياتي الهندسية »

✲ ✲ ✲

وفي شهر مارس سنة ١٩٢٩ اقيم معرض فرنسي في أرض الجمعية الزراعية الملكية بالجزيرة وتفضل جلالة الملك بافتتاحه

ونذكر أنه لما وصل جلالته في أثناء طوافه بأقسام المعرض إلى القسم الخاص بشركة مركبات النوم والأكل شاهد خارطة على الجدار تمثل الخطوط التي تسير عليها هذه الشركة مركباتها في فرنسا وسائر بلدان أوربا فدنا منها وقال : « إن هناك مشروعاً عمرانياً عظيماً أود تحقيقه وهو أن تمتد خطوط سكك الحديد من فرنسا إلى أسبانيا إلى بلاد المغرب الأقصى إلى مصر مارة بالجزائر وتونس وطرابلس . . . إنني أتمنى أن يحقق هذا المشروع يوماً ما »

✲ ✲ ✲

وحلل لي دولة اسماعيل صدقي باشا نقطة هامة تستحق أن يلقى عليها ضوء من الأيضاح والتفسير في ختام هذا الفصل فقال : « كان الملك فؤاد يعلم ما نعلمه جميعاً وهو أن مصر تجتاز مرحلة نهضة جديدة من جميع الوجوه وفي جميع مرافقها العامة فكان يرى أن هناك واجباً مقدساً ملقى على عاتق جميع المصريين وهو أن يشتركوا جميعاً في بذل الجهود في سبيل استكمال هذه النهضة فكان إذا أبدى رأياً أو أعرب عن رغبة لا يفعل ذلك إلا كمصري يريد أن ينفع بلده بما اتيح له

من تجارب واسعة ولا ريب في أنه كان رجلا ذا تجارب كثيرة وعظيمة وأن أساس حكمه كان الرغبة الصادقة في إبلاغ مصر أسمى المراتب بين الدول المتمدنة»

واستطرد صدقي باشا من ذلك إلى القول: « وقد أثبت الملك فؤاد بالمشروعات والأعمال ووجوه الإصلاح التي تمت في عهده أن مصر جديرة بالاستقلال ومن حسن حظ مصر أنه صاحب استقلالها في مرحلته الأولى حتى تشربت به نفوس المصريين وعندي أن التقدم الذي بلغته البلاد على يده لا يدانيه تقدمها في أي مرحلة أخرى من مراحل تاريخها ولو احصيت الأعمال التي عملت في سني حكمه وأردنا أن نختار لعصره اسماً يطابق نتيجة الإحصاء لما سميناه غير عهد صقل المواهب والإنتاج »

* * *

ولا يسع الباحث أن يتكلم عن النهضة العمرانية والإنشائية التي وضع الملك فؤاد اسسها من دون أن يلمع إلى الرحلات التي رحلها جلالته في داخل المملكة استكمالا لعناصر تلك النهضة

وكان برنامج كل زيارة منها طافحاً بالأعمال والمشروعات التي يفتتحها جلالته أو التي يضع حجارة الأساس فيها كتوزيع الماء والنور وإنشاء دور العلم والمستوصفات ومراكز الاسعاف والمباني الجديدة للمجالس المحلية والمكتبات وكلها مما يرجى أن يزيد في رفاهية الناس وتجميل المدن التي تقام فيها وتسهيل أعمال الهيئات المحلية ووقاية الخلق من غوائل الأمراض وعوادي الأوبئة

وأدرك الشعب بفطرته وسجيته أن توثيق هذه الصلة بينه وبين عرش مصر ربح لمصر وقوة لها وعز لوادي النيل وتوطيد لمقام مصر ورفع لشأنها في عيون الشعوب فكان الناس يتركون أعمالهم في الحقول والقرى البعيدة ويتقاطرون إلى ضفاف النيل ومواضع الحفلات ليشاهدوا ملكهم ويشتركوا في تكريمه والاحتفاء به

بما في طاقتهم من هتاف وزغردة وابتهاج حقيقي صريح صادر من أفئدتهم وهو من أفضل ما يقابل به ملك من رعيته

* * *

أما الرحلة التي نود أن ننوه بها تنويهاً خاصاً فهي زيارة جلالته للصحراء الغربية حتى سيوه من جهة وحتى السلوم من الجهة الأخرى (أكتوبر ١٩٢٨) فقد كان لها غاية أبعد مرمى وأسمى غرضاً من مجرد الطواف والارتياد فقد نظر جلالته إليها بعين بصيرته وأراد أن تمتد يد الاصلاح والتعمير إلى هذا الجزء النائي من ملكه وأن يدخل إليه نوع من التنظيم يتدرج مع الأيام وأن يدرك البعيدون في مواطنهم من رعاياه أن بعدهم عن قلب العاصمة وضواحيها لا يجعلهم بعيدين عن قلوب إخوانهم ومواطنيهم ومليكهم

وفعلا قال جلالته للضباط والموظفين الذين قابلهم في سيوه « لا تظنوا أنكم في سيوه وصحاريها بعيدين عن مصر فأنتم هنا في مصر ومصر تقوم بكم هنا » فكان لهذا النطق الكريم أعظم وقع في نفوس الضباط والموظفين والأهلين على السواء

ولم يكد جلالته يعود إلى الاسكندرية من هذه الرحلة حتى بدأت آثار فوائدها تتجلى للعيان فقد أنشأت اتصالا جديداً بين تلك الشقة المصرية الوعرة المترامية الأطراف وسائر المملكة وخلقت اهتماماً جديداً بها و بسكانها كما أنها بعثت في نفوس هؤلاء السكان شعوراً طيباً إذ رأوا أول ملك لمصر يسعى لزيارتهم غير مكترث بوعثاء السفر في الصحراء علاوة على ما لقوا من عطف جلالته وعطاياه الملكية و إنعاماته الكثيرة التي اغدقت على أفرادهم وجموعهم مما عزز تعلقهم بالعرش المصري وأفهمهم أن الجالس على هذا العرش يعنى بهم عنايته بسائر رعاياه

وأن بعد الشقة وصعوبة الانتقال ليسا في نظره حائلا يحول دون تفقد أحوالهم والعمل لتحسين شؤونهم

وذكرت الصحف يومئذ أن جلالته كان طول المدة التي استغرقتها الرحلة مثالا كاملا للوطنية الصادقة فلم يحصر اهتمامه في الاقتصاد وحده أو الزراعة وحدها بل شمل المرافق الحيوية كلها بنظرة ثاقبة على ضوء خبرته الواسعة ومعلوماته العامة

وأمر جلالته في خلال إقامته في سيوه بأخذ نماذج مزدوجة من جميع مصنوعات سيوه الوطنية سواء كانت من حلي النساء أو من أسلحة الرجال أو من الأدوات المنزلية التي تستخدم في مساكن الأهلين وخيامهم أو المكاييل والأوزان التي يستعملونها أو الأقمشة المحلية التي يصنعونها لملابسهم . وأمر كذلك بشراء بعض الآلات التي يستخدمها أهل سيوه لنسج الأقمشة

وتفضل جلالته فأمر بأن تهدى هذه المجموعة الكبيرة إلى الجمعية الجغرافية المصرية لتحفظ في متحفها ذكراً جميلا للرحلة الملكية

ووصفت البلاغات الرسمية حفلات الاستقبال التي أقيمت لجلالته في سيوه . وكان بعض هذه الحفلات يشبه أفراح العرب قديماً حين ينتظمون في رقصهم حلقات و ينشدون الأهازيج « والحدو » العربي

وما إن سمعها جلالته حتى راقت في نظره وسمعه وأصدر أمره الكريم إلى رئيس موسيقى الأورطة السابعة بكتابة هذه الألحان وتوقيعها على النغمات الموسيقية حسب أصولها وطبيعتها فنفذ الأمر العالي فوراً ووضعت لها الأنغام المتناسبة مع أصلها

وأسف جلالته أسفاً كبيراً لأنه لم يأمر باحضار « آلة الصوت الفونوغرافي »

لالتقاط هـذه الألحان من أفواه العرب وهم ينشدونها إذن لكانت تنقل طبيعية أصلية

ووصل إلى علم جلالته أن هناك « شاويشاً » بالبوليس من أهل سيوه لم يغادرها إلى الخارج مدة حياته ولم يشاهد شيئاً من المخترعات أو الرسوم وهو مع ذلك نابغة في فن الرسم والصناعة حتى إنه ابتكر بقوة بديهته وخياله عدة رسوم وصور رسمها في كراسة وزينها بالألوان وصنع من الأقمشة المنسوجة في سيوه نفسها أشكالا مختلفة من الحيوانات وحشاها بالقش فظهرت تشبه الأصل ومنها «ضفدع وقط » لا يكاد الإنسان يفرق بينهما مصنوعين وحيين

وعرض ذلك على جلالته فأعجب به كثيراً ولا سيما أن الرجل لم يخرج من سيوه ليرى نماذج الصناعة الراقية و يشاهد أساليب الرسم وفنه الدقيق

وحدث أن جلالته صعد إلى « غرفة الاستراحة » وقد بنيت على رابية عالية وأنشئت مدارج (سلالم) ذات درجات عدة للوصول إليها وعلى جانبي المدارج وقف العساكر بسلاحهم لتأدية التحية العسكرية لجلالته حين مروره إلى «الاستراحة» . و بعد ما مر المليك ووصل إلى رواق الغرفة أمر الضابط العساكر «بالراحة» أي إنزال السلاح ففعلوا . . . غير أن جندياً وجه نظر الضابط إلى عسكري واقف في الصف وهو لا يزال رافعاً سلاحه للتحية . . . وأسرع الضابط إلى «العسكري» . . .

وما أشد الدهشة التي استولت على كثيرين حين فهموا أن هذا «العسكري» الذي لا يزال رافعاً سلاحه للتحية لم يكن غير عسكري صناعي لا يستطيع من يراه في زيه وملابسه و بندقيته أن يميزه عن سائر الجنود . . . وأن الشاويش هو الذي صنع العسكري وحشاه بالقش وألبسه الملابس العسكرية وقلده البندقية فكان جندياً مهيباً لا تنقصه إلا القوة والحياة

ونمي الخبر إلى المسامع الملكية فسر جلالته كثيراً بعد ما شاهد العسكري المصنوع وأمر بشراء جميع الرسوم والمصنوعات (ومنها العسكري) التي صنعها «الشاويش » وباهدائها إلى متحف الجمعية الجغرافية

✲ ✲ ✲

وعند ما يكتب تاريخ النهضة الاجتماعية في القرن العشرين فلا ريب في أن يوم ٧ مايو سنة ١٩٢٩ سيظل يوما مشهوداً في سفر هذه النهضة

ففي ذلك اليوم وضع الملك فؤاد الحجر الأساسي لبيوت العمال في جهة معمل تل البارود بالقاهرة في احتفال رسمي كبير شهده وزراء الدولة ورجالها وممثلو الدول الأجنبية

وكان الحي كله يموج بوفود العمال وجماعاتهم فما كادوا يلمحون موكب جلالته حتى اشتد هتافهم « لملك النيل وحامي العمال وراعي الشعب »

وخطب المغفور له محمد محمود باشا — وكان رئيساً للوزارة في ذلك الحين — بين يدي المليك في فوائد هذا المشروع الاجتماعي العظيم مستهلا خطبته بقوله : « تفضلتم جلالتكم بتشريف هذا الاحتفال الذي يسجل لعهدكم المجيد اهتماماً بأمر العمال على نحو لم يسبق له مثيل في مصر »

ولما انتهى جلالته من طرق الحجر الأساسي التفت إلى المحيطين به وقال : « إن شاء الله يكون فيه الخير » فقال محمد محمود باشا : « في حياة جلالتكم إن شاء الله »

وانشرحت صدور العمال وقرت عيونهم بما ظفروا به من عطف الملك عليهم وعنايته بهم فانتهزوا بعد ذلك بأيام فرصة عيد الأضحى المبارك والتمسوا أن يؤذن لوفد يمثلهم في التشرف بتقديم فروض التهنئة بالعيد اقتداء بسائر طبقات الأمة فلقي هذا الالتماس ارتياحاً وقبولاً وتشرف هذا الوفد بالمقابلة السنية برئاسة الدكتور محجوب ثابت واذيع الخبر في البلاغ الرسمي الذي يصدره ديوان كبير الأمناء

فكانت هذه أول مرة في تاريخ مصر الحديث ينال فيها الذين يعملون بأيديهم أو بالآلات شرف المثول في الحضرة الملكية كهيئة

وكان أول ما قاله جلالته في النطق السامي الذي وجهه إليهم : « يجب أن نتضامن جميعاً لخدمة الوطن »

* * *

ومن المشروعات الاجتماعية الجليلة التي نفذت في عهد الملك فؤاد مشروع إنشاء مطاعم الشعب وقد لقي من عطف جلالته وسخائه ما كفل له النجاح في مرحلته الأولى

* * *

وكان الملك فؤاد فيما يتعلق بالتحول الاجتماعي من أنصار التؤدة وعدم العجلة . كان يريده « تحولا » طبيعياً لا « طفرة » اصطناعية . ومن ذلك أنه وافق على سياسة التعليم المختلط في بعض كليات الجامعة ولكنه كان يقصد من جهة أخرى أن يتم تحرير المرأة تدريجاً فتكون نهضتها نهضة حقيقية لا نهضة تقليدية

قص عليّ سعادة محمود فهمي القيسي باشا أنه كان جالساً مرة في حضرة الملك فؤاد في إحدى رحلاته في الأقاليم فدار الحديث على هذا الموضوع فكرر جلالته ما كان يقوله دائماً وهو أن هناك أشياء يجب أن تترك للناس يتصرفون فيها من تلقاء أنفسهم وأن الزمان كفيل بحل أمور كثيرة . وهنا كان الركاب الملكي قد وصل إلى « المنيا » وكان تلاميذ المدارس وتلميذاتها مصطفين لاستقبال المليك فلاحظ جلالته أن شعر عدد كبير من البنات كان مقصوصاً فالتفت إلى القيسي باشا وقال له وهو يشير إليهن : « شايف يا قيسي . . . ما تقوليش إيه اللي كان حدث لو طلب من أهل البنات دول أن يقصوا شعر بناتهم . . . كانوا غضبوا وهاجوا حتماً . . . فاديهم دلوقت من نفسهم عملوا اللي أرادوا أن يعملوه »

و بعد زيارة الملك أمان الله ملك أفغانستان الأسبق لمصر بأيام كنت أزور البارون فون شتورر وزير ألمانيا المفوض في مصر في ذلك الحين فأخبرني أنه لما تشرف بمقابلة الملك فؤاد قبل ذلك بيومين تكلم جلالته معه عن أحاديث الملك أمان الله وما يتجلى فيها من طفرة خطيرة وأنه (أي الملك فؤاد) قال له (أي للبارون شتورر) انه إذا صمم الملك أمان الله على تنفيذ الانقلاب الذي يريده لبلاده بالطفرة التي تتجلى في أحاديثه فانه (أي الملك فؤاد) يخشى أن يفضي الأمر إلى ضياع العرش منه

ولما كان الملك فؤاد يفضي بهذا الخاطر إلى البارون فون شتورر كان الملك أمان الله يطوف عواصم أوربا ثم عاد إلى بلاده وقرر أن يشرع في الحال في الانقلاب الذي طالما تحدث عنه . . . و بعد أشهر جاءت التلغرافات بأن الأفغانيين ثاروا عليه وأرغموه على التنازل عن العرش

* * *

كذلك كان من رأي الملك فؤاد أن الإصلاحات الخاصة بحياة العمال يجب أن تتحقق في ظل النظم القائمة وأنه يتعين على الدولة أن تحمي عمالها من الدعايات الأجنبية التى لا تناسب ظروفها الخاصة

قال لي القيسي باشا : « في سنة ١٩٢٣ كانت الأحكام العرفية التي اعلنت في مصر في بداية الحرب العظمى لاتزال قائمة ولكن من المنتظر أن تلغى بين آن وآخر فدعيت يوماً إلى التشرف بمقابلة الملك فؤاد فلما مثلت بين يديه قال لي : لقد دعوتك إلى مقابلتي لأوجه نظرك بوصفك الرجل المسؤول عن الأمن العام إلى مسألة الشيوعية فإني أعلم أن هناك مساعي تبذل لنشر الدعوة إليها ولا يخفى أن قانون العقوبات عندنا خال من كل إشارة إلى هذا الموضوع فأرجو أن تحتاطوا للأمر من الآن . فلما رجعت إلى مكتبي وراجعت قانون العقوبات لم أجد فيه نصاً

صريحاً يمكننا أن نستند إليه في محاكمة الشيوعيين فأعددنا تشريعاً خاصاً لذلك ، وبعد التحري تبين لي أن الملك كان مصيباً في قوله وأن هناك حقيقة وكلاء موفدين من أوربا لبث الدعوة في مصر فقبضت الحكومة على المشتغلين بها وأحالتهم إلى المحاكمة واستطاعت أن تقضي على الحركة وهي في المهد

* * *

وحسب المرء أن يزور المزارع الملكية ليرى فيها غير دليل واحد على العطف العظيم الذي كان الملك فؤاد يكنه للفلاح

وإذا كان جلالته قد شاء أن يجعل من تلك المزارع حقولاً أنموذجية للزراع ينسجون على منوالها كما سيجيء الكلام على ذلك في فصل آخر فلا ريب في أنه أراد من جهة أخرى أن يكون ما عمل للفلاح في المزارع الملكية قدوة لكبار الملاك يقتدون بها في ما يتعين عليهم أن يهيئوه لفلاحيهم في مزارعهم وأراضيهم

قابلت يوماً معالي عثمان محرم باشا بعد عودته من زيارة بعض المزارع الملكية فقال لي إن كثيرين يتكلمون عن العطف الذي يستحقه الفلاح وعن ضرورة عمل شيء له ولكنهم لا يعملون شيئاً . أما الملك فؤاد فلم يتكلم بل عمل وترك لعمله أن يتكلم فجلالته أول من بنى بيوتاً صحية للفلاحين في مصر وقد بنيت هذه البيوت بالدبش والخرسانة المسلحة و « بيضت » ويحتوي كل بيت منها على مطبخ وحمام والملحقات بل إن جلالته أول من بنى للفلاحين بيوتاً من دورين فعلم كبار الملاك بطريقة عملية ما تطلبه منهم الإنسانية ومقتضيات النهضة الاجتماعية للرجال الذين تقوم على سواعدهم ثروة مصر الزراعية

* * *

وروى لي سعادة عبد القوي أحمد باشا أنه كان متشرفاً مرة بمقابلة الملك فؤاد فسأله جلالته عن نشأته وتعليمه

وهنا أدع عبد القوي باشا نفسه يتكلم . قال : « وما كاد جلالته يعرف أنني مولود في قرية حتى أخذ يتبسط في الحديث عن القرية وضرورة إصلاحها حتى ماشككت في أنه محيط بكل جزء من أجزاء حياة الفلاح بالتفصيل ولاسيما لما ذكر أنه يريد من كل فلاح أن ... وهنا قال جلالته كلمة بالفرنسية لم أفهمها وبعد تفسير طويل للغرض فهمت أن الكلمة المقصودة هي « دهاكة » المباني بالطين والتبن والمعروفة عند المعماريين « باللياسة » ولما ذكرت الكلمة الأخيرة تناول جلالته قلمه وكتبها على ورقة أمامه فلا غرو إذا قلت لك إن مشروع إنشاء وكالة المرافق العامة في وزارة الصحة ليس سوى نفحة من نفحات الملك فؤاد وما برحت أذكر أنه لما تكلم جلالته عن مسكن الفلاح تبسط في الحديث عن أهمية التهوية في داخل السكن وعن ضرورة عزل المواشي عنه بكل وسيلة مستطاعة

✡✡✡

ويقول القيسي باشا إنه لما بدأت الحكومة تهتم بضرورة تعميم الماء الصالح للشرب في القرى كان الملك فؤاد على اتصال دائم به ليستفسر منه عن الخطوات التي خطاها العمل في سبيل هذا المشروع وكان جلالته شديد الاهتمام به للخير العظيم الذي يعود منه على صحة الفلاح

✡✡✡

ولما تشرف الدكتور علي توفيق شوشه بك بمقابلة الملك فؤاد ليشكره على الانعام عليه برتبة البكوية من الدرجة الثانية أثنى جلالته على معامل وزارة الصحة ثم قال مستدركاً : « ولكن هذه المعامل يجب أن تعمم في الأقاليم خدمة للفلاح فلا يظل يعتمد على معامل القاهرة وحدها » وهنا قال جلالته إن لتعميم المعامل في الأقاليم فائدتين جوهريتين الأولى السرعة وكسب الوقت والثانية أن هناك « عينات » تقتضي أن تفحص محلياً أو قد تتلف إذا نقلت الى مسافة بعيدة

« فمن حق الفلاح علينا أن نهيىء له معامل إقليمية ، وفي الجهات التي لايمكن إنشاء معامل دائمة مستقرة فيها يجب أن تتخذ التدابير اللازمة لايصال المعامل المتنقلة اليها »

قال الدكتور شوشه بك : وذكر جلالته غير مرة في سياق الحديث أنه يعد المعامل الاقليمية بمثابة « مخافر أمامية » للصحة العامة فكان لتوجيهه الفضل الأول في إنشاء معامل الصحة في الأقاليم ، و إلى ثاقب رأيه كذلك يرجع الفضل في تكبير معامل الصحة في القاهرة وفي إنشاء معمل الأمصال الجديد في العجوزة

☆ ☆ ☆

وسنرى في الفصل الذي أفردناه فيما يلي للنهضة الزراعية وحدب الملك فؤاد على الفلاح أنه كان شديد الاهتمام برفع مستوى الحياة الاجتماعية منذ ما كان أميراً . ومن المؤسسات التي أنشأها جلالته في هذا السبيل وهو أمير معهد الفنون الطرزية للبنات في الاسكندرية فهيأ لعدد كبير من البنات المحتاجات إلى العمل فرصة كسب الرزق بطريق شريف . وقصت علينا مدام ديفونشاير أن الأمير احمد فؤاد كان يبحث بنفسه عن بعض الرسوم اللازمة لهذا المعهد لكي تعنى طالباته بنقلها كما سيجيء الكلام في فصل تال